السلام معناه وأحكامه في الشريعة الإسلامية

م.م.عبد السلام ابراهيم مجيد الماجد
جامعة الموصل / كلية التربية الأساسية

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٠٥/١٠/١١ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠٠٦/٣/١٣

ملخص البحث :

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على (مقاصد السلام في الشريعة الإسلامية) وقد اعتمد الباحث على منهج التأصيل الشرعي التحليلي في تناوله للنصوص في القرآن والسنة، وقد قدم الباحث بحثه على شكل خمسة مباحث حيث تناول في المبحث الأول تعريف السلام في اللغة والاصطلاح وكان المبحث الثاني بياناً لمعنى السلام في القرآن والسنة وتطرق في المبحث الثالث للكلام عن اقتران السلام بالرحمة وكان المبحث الرابع بياناً لحكم إلقاء السلام وردّه والمبحث الخامس بيان الحالات التي يكره فيها السلام وقد خلص الباحث إلى نتائج منها: إن الإسلام جاء بالسلام وأعلنه شعاراً له لينهي الحرب وسفك الدماء ثم جعل السلام من حق المسلم على أخيه المسلم حين يلقاه وقرّن الإسلام السلام بالرحمة ... إلى غيرها من النتائج الموضحة في ثنايا البحث .

Greetings : Meaning and Rules in Islamic Legislation

Abdul Salam Ebrahem Majed
University of Mosul - College of Basic Education

Abstract:

The present research sheds light on greeting in Islam. The researcher depended on the original legislative analysis in dealing with the Quranic and Sunna texts. The research is divided into five sections. Section One deals with the linguistic definition of greeting. Section Two is devoted to the meaning of greeting in Quran and Sunna. Section Three discusses the relationship between greeting and mercy. Section Four shows the roles of responding to saying “peace be on you”. Section Five shows the cases in which it is hated to say “peace be on you”. The most important results arrived at are that peace is a slogan for the Islamic religion, which forbids war and blood shedding. It is obligatory to say “peace be on you” when we meet other Muslims and it is associated with mercy.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه وبعد :

فإن الدين الإسلامي يمتاز بأنه دين اجتماعي وكان مجيء الإسلام تغييراً شاملاً للعادات السيئة وتشجيعاً للعادات الحسنة من نشر الألفة والمحبة ، ومن هنا فقد أعلن السلام شعاراً للإسلام عقيدة وخُلُقاً وسلوكاً ونظاماً فإذا هو والإسلام معنى واحد وحقيقة واحدة لا انفصام بينهما ، ان الإسلام والسلام كلمتان مشتقتان من مادة واحدة في الأصل وان السلام هو تحية الإسلام، والسلام اسم من أسماء الله الحسنى وان المسلمين دون غيرهم يتقربون إلى الله بعبوديتهم بهذا الاسم ، (وان السلام في الإسلام ضرورة لاستمرار الحياة فوق هذه الأرض)[١].

وان وشيجة السلام وشيجة ملحمة بين المبدأ والغاية وبين العقيدة والتطبيق حالة فريدة استقل بها الإسلام ليس في جميع الشرائع – سماويها ووضعيها – نازعة إلى السلام تنصب عليه هذا الانصباب ، (لا أعلم في مذاهب العالم عامة ما يشبهها في هذا التمازج والتماسك والالتحام كما يتجلى صدقاً لا زعماً وافتراءً)[٢] .

وبما ان النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي – انتصب الإسلام – بجملة آدابه وأخلاقه وتشريعاته يروضها بها ليغلب فيها روح الخير وينشئ من طبعها المجتمع الفاضل الذي يريده الله تعالى لعباده يقول تعالى: **(وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا)**[٣] .

يقول سيد قطب: (قد جاء الإسلام بتحيته الخاصة التي تميز المجتمع المسلم وتجعل كل سمة فيه – حتى السمات اليومية العادية – متفردة متميزة لا تضيع في سمات المجتمعات الأخرى ومعالمها ، انها نسمة رخية في وسط آيات القتال قبلها وبعدها .. لعل المراد منها ان يشار إلى قاعدة الإسلام الأساسية –السلام– فالإسلام دين السلام وهو لا يقاتل إلا لإقرار السلام في الأرض لمعناه الواسع الشامل، السلام الناشئ من استقامة الفطرة على منهج الله)[٤].

فرضية البحث :

ان السلام في الإسلام جاء بتحيته الخاصة تلك السمة المتفردة التي يحرص المنهج الإسلامي على ان يطبع بها المجتمع المسلم (ان السلام الإسلامي هو ثمرة غراس الفضائل والتقوى مما أصَّل الشرع للحياة من عقيدة وأخلاق تصنع منه المجتمع المتزن مجتمع الإخاء والعدل ويحصر فيه السوء في أدق الحدود وأضيق المسالك)[٥] . فقد أمر الله سبحانه وتعالى بالسلام على الأهل في البيت حيث يقول القرآن الكريم : **(فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً)**[٦] .

فيكون السلام في البيت مع الأسرة : الزوج والبنين وذوي القربى والعشيرة يعاطيهم ، المرء ما نشأه الإسلام عليه من أدب وتهذيب فيعطيهم من صفاء نفسه وعقله الحب والحنان ويمنحهم الرعاية والإحسان ويتعهدهم دوماً فيصل الرحم ، يقول سيد قطب :

(فهي المحاولة الدائمة لتوثيق علاقات المودة والقربى بين أفراد الجماعة المسلمة وإفشاء السلام والرد على التحية بأحسن منها من خير الوسائل لإنشاء هذه العلاقات وتوثيقها ، والعناية بهذا الأمر تبدو قيمتها عند الملاحظة الواقعية لآثار هذا التقليد في اصفاء القلوب وتعارف غير المتعارفين وتوثيق الصلة بين المتصلين ، وهي ظاهرة يدركها كل من يلاحظ آثار هذا التقليد في المجتمعات ويتدبر نتائجها العجيبة!!)[٧] .

ومن هذا التأصيل وينبوعه الصافي يتولد السلام مع النفس ومع الأهل والأقربين حين يبتغي المرء رضوان الله تعالى فيصفي ضميره من الحقد ويتجه بنفسه إلى صنائع المعروف وفعل الخيرات ، وحَرِيٌّ بكل مسلم ان يحيي هذه المعاني في نفسه .

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى التأصيل الشرعي لمسألة إلقاء السلام وردِّه من خلال عرض نصوص القرآن والسنة وبيان أقوال الفقهاء والتي تؤكد نشر السلام على من عرفت ومن لم تعرف ، ثم بيان الآثار الإيجابية لنشر السلام من حصول المحبة والألفة ورسوخ الإيمان وفي الآخرة دخول الجنة .

هذا الموضوع الذي وددت فيه الوقوف على نتائج السلام من خلال عرض الآيات القرآنية وتفاسيرها ثم الأحاديث النبوية وشروحها ، وفي الختام بينت فيه نتائج البحث الذي توصلت إليه .

هيكلية البحث :

تضمنت مادة البحث أربعة مباحث حيث تناولت في المبحث الأول تعريف السلام في اللغة والاصطلاح وكان المبحث الثاني بياناً لمعنى السلام في القرآن والسنة وبيان الآثار المترتبة عليه ثم تكلمت في المبحث الثالث عن اقتران السلام بالرحمة وكان المبحث الرابع بياناً لحكم إلقاء السلام وردِّه ومتى يكون رده فرض عين وفرض كفاية ثم بيان الحالات التي يُكره فيها السلام . وختاماً هذا هو جهدي المتواضع أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعينني في ذلك وأن يجنبني الزلل والخطأ فما الكمال إلا لله وحده .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تمهيد:

كانت الحروب تقوم بين القبائل لأتفه الأسباب، فهم لا يبالون بشن الحروب وإزهاق الأرواح في سبيل الدفاع عن المثل الاجتماعية التي تعارفوا عليها وإن كانت لا تستحق التقدير، وقد روى لنا التاريخ سلسلة من أيام العرب في الجاهلية مما يدل على تمكن الروح الحربية من نفوس العرب وغلبتها على التعقل والتفكير، فمن تلك الأيام مثلاً يوم البسوس وقد قامت الحرب فيه بين بكر وتغلب بسبب ناقة للجرمي وهو جار للبسوس بنت منقذ خالة جساس بن مرة، وقد كان كليب سيد تغلب قد حمى لإبله مكاناً خاصاً به فرأى فيه هذه الناقة فرماها فجزع الجرمي وجزعت البسوس فلما رأى ذلك جساس تحين الفرصة لقتل كليب فقتله فقامت الحروب الطاحنة بين القبيلتين لمدة أربعين سنة[٨].

وكذلك يوم داحس والغبراء وقد كان سببه سباقاً أقيم بين داحس وهو فرس لقيس بن زهير والغبراء وهي لحذيفة بن بدر فأوعز هذا الى رجل ليقف في الوادي فإن رأى داحساً قد سبق يرده وقد فعل ذلك فلطم الفرس حتى أوقعها في الماء فسبقت الغبراء وحصل بعد ذلك القتل والأخذ بالثأر وقد قامت الحرب بين قبيلتين عبس وذبيان[٩] .

وكذلك الحروب التي قامت بين الأوس والخزرج في الجاهلية وهم أبناء عم حيث أن الأوس والخزرج أبناء حارثة بن ثعلبة الأزدي واستمرت الحروب بينهم وكان آخر أيامهم (بُعاث)[١٠].

فجاء الإسلام وهو يحمل في طياته السلام وحقن الدماء ونبذ الفرقة والخلاف وألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمة الله إخوانا.

المبحث الأول : معنى السلام في اللغة والاصطلاح

السلام لغة :

السلام في الأصل السَّلامة يقال سَلِمَ يَسْلَمُ سُلاماً وسَلامةً ، وذهب بمعناها إلى الإسلام والسَّلْم ضد الحرب يقال السَّلم والسِّلْم واحد ، وقيل للجنة دار السلام لأنها السَّلامة من الآفات، والسَّلام : الاسم من التسليم والسَّلام من أسماء الله تعالى قال الفراهيدي : وقول الناس السلام عليكم يعني السلامة من الله عليكم ، والسِّلْم بفتح السين وكسرها يذكَّر ويؤنث، وسميت بغداد مدينة السلام لقربها من دجلة وكانت دجلة تسمى نهر السلام والإسلام : الاستسلام لأمر الله تعالى وهو الانقياد لطاعته والقبول لأمره[١١] . وقال ابن منظور : لسلامته من العيب والنقائص والفناء ، والسلام معناه التحية . والسلام البراءة من العيوب كانت العرب في الجاهلية تقول سلام عليكم كأنه علامة المسالمة وانه لا حرب هناك ثم جاء الله بالإسلام فقصروا على السلام وأُمِروا بإفشائه ، والسلام أمان الله في الأرض[١٢] .

ولفظ الإسلام مشتق من اسم السلام جل جلاله وهو دين الله تعالى وفي ذلك يقول القرآن الكريم : **(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ)**[١٣] ومن اسمه اشتقت السَّلامة والأمن من كل خوف ولذا فان الرسل عليهم الصلاة والسلام يوم الشفاعة الكبرى[١٤] يقولون (اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ)[١٥] وقد وصف الرسول الكريم ﷺ المُسْلم وعلاقته مع المسلمين بأنه : (المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده)[١٦] .

السلام اصطلاحاً :

لقد جاء لفظ السلام ودل على معانٍ كثيرة وقد نقل ابن حجر قسماً منها فقال : (وقد اختلف في معنى السلام منها : ان معناه اسم الله أي كلاءة[١٧] الله عليك وحفظه كما يقال الله معك ومصاحبك ، وقيل معناه ان الله مطلع عليك فيما تفعل ، وقيل معناه ان اسم الله يذكر على الاعمال توقعاً لاجتماع معاني الخيرات فيها وانتفاء عوارض الفساد عنها ، وقيل معناه السلام كما قال تعالى: (فسلام لك من أصحاب اليمين)[١٨] ثم خلص الى القول في معنى السلامة فقال: فكأن المسلِّم أعلم مَن سلّم عليه انه سالم منه وان لا خوف عليه منه)[١٩] .

المبحث الثاني : معنى السلام في القرآن والسنة وبيان الآثار المترتبة عليه

المطلب الأول : السلام في القرآن الكريم

لقد ذكر لفظ السلام بصيغ مختلفة أكثر من سبع وثلاثين مرة[٢٠] في القرآن الكريم وجاء على خمسة أوجه[٢١] من المعاني :

الأول. السلام هو الله تبارك وتعالى وذلك في قوله تعالى (السلام المؤمن)[٢٢] السلام يعني الله وهو صفة من صفاته جلَّ جلاله .

الثاني. أطلق السلام وأريد به الخير وذلك قوله تعالى **(فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ)**[٢٣] يعني وقل خيراً ، وعلى لسان ابراهيم ﴿عليه السلام﴾ قوله تعالى **(سَلامٌ عَلَيْكَ)**[٢٤] خاطباً أباه يعني رُدَّ خيراً .

الثالث. السلام بمعنى الثناء الحسن وذلك قوله تعالى **(سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ)**[٢٥] يعني الثناء الحسن لنوح ﴿عليه السلام﴾ من بعده وكذلك قوله تعالى : **(سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ)**[٢٦] يعني الثناء الحسن يقال لهما من بعدهما .

الرابع. السلام يعني السلامة من كل شر وذلك قوله تعالى : **(يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا)**[٢٧] يعني السلامة من كل شر كالغرق وغيره ، وقال تعالى : **(يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ)**[٢٨] يعني سلامة من شر حرِّ النار وبردها .

الخامس. السلام يعني التحية التي يُحيِّي بها المسلمون بعضهم بعضاً وهي تحية أهل الجنة وذلك قوله تعالى : **(وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)**[٢٩] وتحية المسلمين مع بعضهم وأهلهم قوله تعالى : **(فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً)**[٣٠] .

المطلب الثاني : السلام في السُّنة النبوية والآثار المترتبة عليه

من خلال الوقوف على نصوص السنة النبوية في موضوع السلام نجد أنَّ رسول الله ﷺ جعل قراءة السلام من خير الإسلام وأمر المسلمين بالسلام على من عَرفت ومَن لم تعرف فقد جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ وسأله فقال : أي الإسلام خير ؟ قال : (تطعم الطعام وتقرأ السلام على مَن عرفت ومن لم تعرف)[٣١] .

ثم جعل رسول الله ﷺ إلقاء السلام من واجبات المسلم على أخيه المسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: (حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته فسَلِّم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصحه ، وإذا عطس فحمد الله فشمِّته ، وإذا مرض فعُدْهُ ، وإذا مات فاتَّبعْهُ)[٣٢] .

قال الصنعاني : الحديث دليل على أن هذه الحقوق بين المسلمين لا ينبغي تركها، ثم نقل عن السلف قولهم : ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان : (إنصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالَم ، والانفاق من الإقتار)[٣٣] وفسره الإمام النووي فقال : (وأما بذل السلام للعالَم فمعناه لجميع الناس فيتضمن أن لا يتكبر على أحد وأن لا يكون بينه وبين أحد جفاء يمتنع من السلام عليه بسببه)[٣٤] .

وبيّن رسول الله ﷺ أن سبب دخول الجنة هو إفشاء السلام فعن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وَصِلُوا الأرحام وصلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام)[٣٥].

وقد نفى رسول الله ﷺ دخول الجنة عمن لا يؤمن ولا يتحابب والتحابب من أسبابه إفشاء السلام قال رسول الله ﷺ : (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابّوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم)[٣٦] قال المباركفوري : (أي لا يكمل إيمانكم ولا يصلح حالكم في الإيمان إلا بالتحابب ، وفي هذا الحديث : الحث العظيم على إفشاء السلام وبذله للمسلمين كلهم من عرفت ومن لم تعرف وجعل إفشاء السلام سبباً للمحبة والمحبة سبباً لكمال الإيمان لأن إفشاء السلام سبب للتحابب والتوادد أو هو سبب الألفة والجمعية بين المسلمين المسبب لكمال الدين وإعلاء كلمة الإسلام)[٣٧] .

ثم جعل شرعنا الحنيف أولى الناس بالله تعالى مَن يبدأ الناس بالسلام فعن أبي أُمامة ﴿رضي الله عنه﴾ : قيل يا رسول الله : الرجلان يلتقيان أيُّهما يبدأ بالسلام ؟ قال : (أوْلاهُما بالله تعالى)[٣٨]. وعن ابي الدرداء: قلنا يا رسول الله انا نلتقي فأينا يبدأ بالسلام قال: (أطوعكم لله)[٣٩].

وحث الإسلام المسلمين على السلام حتى عند مغادرة المجلس ومفارقة الجلساء فعن أبي هريرة ﴿رضي الله عنه﴾ قال : قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ : (إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فلْيسلِّم ، فإذا أراد أن يقوم فلْيُسلِّم فليست الأولى بأحق من الآخرة)[٤٠] أي بأوْلى وألْيق بل كلتاهما حق وسنة[٤١] قال المباركفوري : (أي كما أن التسليمة الأُولى إخبار عن سلامتهم من شره عند الحضور فكذلك الثانية إخبارهم عن سلامتهم من شره عند الغيبة ، وليست السلامة عند الحضور أوْلى من السلامة عند الغيبة بل الثانية أوْلى)[٤٢] .

ولم يقف الإسلام في هذا الحد بل سَنَّ السلام حتى على الصبيان لحديث أنس ﴿رضي الله عنه﴾ أنه مَرَّ على صبيان فسَلَّم عليهم وقال : (كان النبي ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يفعله)[٤٣] قال المباركفوري : وقد اتفق العلماء على استحباب السلام للصبيان[٤٤] قال النووي : قال أصحابنا لا يلزمه الجواب لأنه ليس مكلفاً[٤٥] .

وكذلك دعوات الصلوات الخمس حيث يردد المصلون دبر كل صلاة (استغفر الله الذي لا إله إلا هو ، اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام)[٤٦] .

والسلام شعار المسلمين حتى عند زيارة القبور مَن وَدَّعُوا دنياهم وسكنوا القبور فأكدت الشريعة الإسلامية (السلام) حتى على الموتى كما يسلَّم على الأحياء فقد كان رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يقول عند زيارة القبور : (السلام عليكم أهل الدِّيار من المؤمنين والمسلمين وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون أسال الله لنا ولكم العافية)[٤٧] .

وسمى الله سبحانه وتعالى الحياة الآخرة (دار السلام) فقال الله تعالى : **(لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ)**[٤٨] .

وعلَّمنا ربُّنا سبحانه وتعالى كيف ندعوه باسمه (السلام) فقال الله تعالى : **(وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً)**[٤٩] .

المبحث الثالث : اقتران السلام بالرحمة

بعد أن بيّنا أنَّ نصوص القرآن الكريم وأحاديث الرسول الكريم محمد ﴿ﷺ﴾ شرَّعا السلام وحثَّا عليه من الدخول إلى البيت وعند اللقاء والمغادرة وفي أدبار الصلوات وفي زيارة القبور ، في كل الميادين في الأذكار والعبادات وفي أصول العقيدة وفي المثل الأخلاقية ليكون به قوام السَّلام الدائم سلام الحرية والمحبة والمودة .

لقد جعل الإسلام ذلك في كل هذه الجوانب ليكون السلام إيماناً ينعقد عليه القلب وعقيدة تستقر في الوجدان والعقل ، وتعتمل دائماً لتثمر ، وجعل ذلك في العبادات والأذكار ألهَجَ به ألْسِنَةِ المؤمنين أناء الليل وأطراف النهار في الصلوات كلها – الفروض والسُّنن والنوافل – (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين) وبعد انتهاء المصلين من صلاتهم يقولون (السلام عليكم ورحمة الله) كله سلام وما أكثر ترديد ألفاظ السلام والسلم والإسلام في كتاب الله تعالى وفي أحاديث رسول الله صلى الله عيه وسلم وكل ذلك من (الرحمة) فجعلها رديفة (السلام) لا يذكر السلام إلا مقروناً بذكر الرحمة[٥٠] .

والرحمة صفة من صفات الله تعالى جل جلاله قال تعالى : **(كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ)**[٥١] وهو الرحمن الرحيم وهما اسمان من أسماء الله الحسنى وبهاتين الكلمتين الرديفتين الشفافتين وهما تحملان رَوْحَ الله ولطفه يستفتحون كل عمل يبدؤنه فيقولون (بسم الله الرحمن الرحيم) ويردَفون السلام بالرحمة والبركات فيقولون حين يلقى بعضهم بعضاً : (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) إشعاراً بقيامها جمعاء في أعماق النفس وما أكثر ما يتردد من ذكر الرحمة ومشتقاتها وقد ورد في القرآن لفظ الرحمة وصيغها في (١٦٧) مائة وسبع وستين مرة[٥٢] حيث يقول الله تعالى : **(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)**[٥٣] ويقول الرسول ﴿ﷺ﴾ : (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل)[٥٤] ويقول : (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)[٥٥] وما فرغت صدور الأقوام من الرحمة إلا غالبهم البغي وكانوا وباءً على البشر ، وبالرحمة تخامر القلوب يختفي هذا البغي ويسود السلام ويعود الناس – كما كانوا أمة واحدة – قال تعالى : **(يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ)**[٥٦] .

وما أكثر ما تردد ذكرها في آي الذكر الحكيم وفي أحاديث النبي ﴿ﷺ﴾ يقول الأستاذ بهجت الأثري :

(إنها القانون الإلهي يردّ بها الله الناسَ إلى اتخاذها مصدراً للتعامل في الحياة واصلاً يدخلونه في حسابهم في كل الأحوال ويصدرون عنه ، ينطوي تحت مفهومها في الفكر الإسلامي كل مفاهيم الأخلاق الإنسانية الرفيعة ، وبتحكيمها في التعامل والأخذ والعطاء يستقيم مجتمع

العدل والمرحمة والسلام وتقوم جامعة الاخوّة ويختفي هذا المجتمع المحترب يأكل قويه ضعيفه والبشر منه في هرج ومرج واصطخاب ، يتقاذفون بعد الهول لا تأخذ بناسم رأفة ورحمة ليجني بعضهم من بعض مغانم الظلم وهم قادرون على توفيرها لأنفسهم باتباع رضوان الله تبارك وتعالى ، وجملة القول في (الإسلام وسلامه ومرحمته) إنه شرع يقوم به للبشر نظام سلام حقيقي يستمر في الحياة ما شاء الله ، وما استرشد البشر بنوره والتقت الأجناس على هداه بالتقوى التقاء الإخاء والمرحمة والإنسان)[٥٧] .

المبحث الرابع : حكم إلقاء السلام وردِّه

المطلب الأول : الأحوال التي يستحب فيها السلام

إن أصل السلام في الإسلام ثابت في القرآن والسنة والإجماع[٥٨] وقد أجمع العلماء[٥٩] بأن إلقاء السلام والابتداء به سنة وردُّه فرض[٦٠] مستدلين على استحباب الابتداء بالسلام وسنيّته بحديث رسول الله ﷺ: (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابّوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم)[٦١] واستدلوا على فرضية الرَّد بقول الله سبحانه وتعالى : **(وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا)**[٦٢] فأمر بالرّد بمثلها أو بأحسن منها ، فمن خلال ما تقدم من النصوص في القرآن والسنة نجد انا مأمورون بإفشاء السلام ولكنه يتأكد في بعض الأحوال ويخف في بعضها وينهى ، فأما أحوال تأكده واستحبابه كثيرة فلا تنحصر فانها الأصل فلا نتعرض الى ذكر تفاصيلها .

المطلب الثاني : الأحوال التي يكره فيها السلام

وأما الأحوال التي يكره فيها : وقد ذكرها الإمام النووي وهي :

١. إذا كان المُسَلَّم عليه مشتغلاً بالبول أو الجماع .
٢. إذا كان ناعساً أو نائماً .
٣. من كان مصلياً أو مؤذناً حال آذانه أو إقامته للصلاة .
٤. من كان في الحمام .
٥. أو إذا كان يأكل واللقمة في فمه فإذا لم تكن في فمه فلا بأس ويجب الجواب .
٦. السلام في حال الخطبة يوم الجمعة قال النووي : قال أصحابنا : يكره الابتداء لأنهم مأمورون بالإنصات للخطبة .
٧. من كان مشتغلاً بقراءة القرآن فالأوْلى ترك السلام عليه لاشتغاله بالتلاوة .
٨. من كان مشتغلاً بالدعاء مستغرقاً فيه مُجمِعَ القلب عليه قال النووي : والأظهر عندي في هذا أنه يكره السلام عليه لأنه يتنكَّد به ويشق عليه أكثر من مشقة الأكل .

٩. المُلبِّي في الإحرام فيكره أن يُسلَّم عليه لأنه يُكره له قطع التلبية .

ففي الحالات المتقدمة لا يستحق المسلِّم الرد والجواب فلا يجب في حقهم رد السلام ولو أراد المسلَّم عليه أن يتبرع برد السلام هل يشرع له أو يستحب :

– وأما المصلي فيحرم عليه أن يقول (وعليكم السلام) فان فعل ذلك بطلت صلاته إن كان عالماً بتحريمه ، وإن كان جاهلاً لم تبطل على أصح الوجهين .

والمستحب أن يرد عليه في الصلاة بالإشارة ولا يتلفظ بشيء وإن ردَّ بعد الفراغ فلا بأس .

– وأما المؤذن فلا يكره ردّ الجواب بلفظه المعتاد لأن ذلك يسير لا يبطل الأذان ولا يُخل به[٦٣].

– وأما السلام على الفاسق أو المبتدع فقد نقل ابن حجر عن الجمهور قولهم : الى أنه لا يسلّم على الفاسق والمبتدع ، أما الإمام النووي قال : فان اضطر الى السلام بان خاف ترتب مفسدة في دين أو دنيا ان لم يُسلِّم سلّم ، وكذا قال أبن العربي وزاد : وينوي ان السلام اسم من أسماء الله تعالى فكأنه قال : الله رقيب عليكم[٦٤] .

المطلب الثالث : متى يكون رد السلام فرض عين ومتى يكون فرض كفاية

أولاً. متى يكون رد السلام فرض عين

فرض عين: هو ما طلب الشارع فعله من كل فرد من أفراد المكلفين بحيث إذا أداه البعض لم يسقط التكليف عن الباقين ولا تبرأ ذمة المكلف منه إلا بأدائه كالفرائض المطلوبة من صلاة وصوم وزكاة ووفاء بالعقد واجتناب الربا والميسر وما الى ذلك من أمور تدخل تحت امتثال الأوامر واجتناب النواهي[٦٥].

ان كان السلام على واحد بعينه فيكون رد السلام في حقه فرض عين وذلك بالاجماع حيث قال الامام النووي : (وجواب السلام فرض بالإجماع فإن كان السلام على واحد فالجواب فرض عين في حقه)[٦٦] .

ثانياً. متى يكون رد السلام فرض كفاية

فرض كفاية: هو ما طلب الشارع فعله والقيام به من مجموع المكلفين لا من كل فرد بحيث إذا أدّاه البعض سقط التكليف عن الباقين، وإن لم يقم به أحد أثم الجميع، ومن أمثلة هذا النوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإفتاء ورد السلام وأداء الشهادة إذا كان حملتها غير

محصورين، وما الى ذلك من الواجبات التي لم يطلب الشارع حصولها من فرد بعينه، وإنما طلب وجودها من الجماعة من غير نظر الى الشخص القائم بمقتضى الخطاب، لأن الغاية تحصل بوجودها من بعض المكلفين ولا تتوقف على قيام كل مكلف بها لأن فعل البعض كافٍ في تحصيل المقصود منه والخروج عن عُهدته[٦٧].

وان كان السلام على جميع فيكون رده فرضاً على الكفاية بحيث لو ردَّ أحدهم سقط الاثم عن الباقين حيث قال الإمام النووي : (إن كان على جميع فهو فرض كفاية فإذا أجاب واحد منهم أجزأ عنهم وسقط الحرج عن الباقين وإن أجابوا كلهم كانوا كلهم مؤدين للفرض ، سواء ردّوا معاً أو متعاقبين فلو لم يجبه أحد منهم أثموا كلُّهم ، ولو ردَّ غير الذين سُلِّمَ عليهم لم يسقط الفرض والحرج عن الباقين)[٦٨] .

وقال الابادي : (ويكون رد السلام فرض كفاية واستدل برواية رفعها الى الحسن بن علي قال : (ويجزئ عن الجلوس ان يرد أحدهم) ثم قال : وهذا فرض كفاية بالاتفاق ولو ردوا كلهم كان أفضل كما هو شأن فروض الكفاية كلها)[٦٩] .

ونرى في زماننا تهاوناً كبيراً في هذه المسألة حيث أن كثيراً من المجالس يلتهي فيها أهل المجلس بحديثهم وإذا ما سلَّم أحد المارين عليهم لا يجد المسلِّم جواباً أو ردّاً من الجالسين مستخفين بأحكام السلام وردّه فيكون إثمهم أعظم عند الله تعالى .

نتائج البحث :

بعد أن فرغت من كتابة البحث تبين لي :

١. ان للسلام في الإسلام مقاصد عظيمة وفوائد جليلة فليس السلام ألفاظاً وكلمات تردد في الالسنة فقط بل لما يتركه السلام من المعاني والآثار الجليلة والطيبة في نفس المسلّم والمسلَّم عليه .
٢. جاء الإسلام وهو يحمل في طياته السلام وكأن الناس كلهم كانوا في حرب مستمرة وسفك الدماء فدعا الإسلام إلى الأمن والسلام وحقن الدماء .
٣. والإسلام قد جعل خير الناس من يبدأ أخاه بالسلام وجعل ذلك من حق المسلم على أخيه المسلم حين يلقاه وجعل من خير الإسلام أن الإنسان يسلم على من يعرف ومن لم يعرف.
٤. ثم أن الشريعة لم تجعل السلام فقط عند اللقاء بل رسخ السلام وترديده حتى في الأذكار والعبادات وعند زيارة الأموات في قبورهم .
٥. وأن الإسلام قد قرّن السلام بالرحمة وأن نشر السلام سبب للمودة والمحبة ثم دخول الجنة.
٦. وإن الحكم الشرعي لإلقاء السلام سنة وردّهُ فرض .
٧. وقد كره العلماء السلام في مواضع منها الإنصات لسماع خطبة الجمعة ومنها المنشغل بتلاوة القرآن ومن كان مستغرقاً بالدعاء .

الهوامش البحث ومصادره :

١. شلبي: عبد الودود / مجلة الوعي الإسلامي / الكويت/ العدد (٣٠٢) / ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م / ص١٠٨ .

٢. الاثري : محمد بهجت / مجلة الرسالة الإسلامية / بغداد العدد (٢٠٤) / ص٣٣ / ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٣. سورة النساء : الآية (٨٦) .

٤. سيد قطب : في ظلال القرآن / طبعة جديدة منقحة / دار الشروق / الطبعة التاسعة / القاهرة / ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م / ج٢ / ص٧٢٦ .

٥. بهجت الاثري : المصدر السابق : ص٣٣ .

٦. سورة النور : الآية (٦١) .

٧. سيد قطب : مصدر سابق : ج٢ / ص٧٢٦ .

٨. ابن الأثير / أبو الحسن علي بن محمد / الكامل في التاريخ/ دار صادر / بيروت/ ١-٣١٢.

٩.المصدر نفسه: ١-.٣٤٣

١٠. الصلابي/ علي بن محمد محمد/ أصح الكلام في سيرة خير الأنام- السيرة النبوية/ مكتبة الصحابة- الشارقة/ ط١/ ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م/ ٢/٩-.٤٠

١١. الفراهيدي: ابي عبد الرحمن الخليل بن احمد / العين / طبع دار الرشيد / باب السين واللام والميم: ٧ / ٢٦٥ – ٢٦٦ .

١٢.ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم / لسان العرب / طبعة بولاق / فصل السين حرف الميم مادة سَلِمَ : ١٥ / ١٨١ – ١٩١ .

١٣. سورة آل عمران : الآية (١٩) .

١٤. عبد الجواد : احمد / ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها / مطبعة منير / بغداد / نشر مكتبة الشرق الجديد / ص٣١ باب السلام .

١٥. مسلم / ابي الحسين مسلم ابن حجاج القشيري / صحيح مسلم مطبوع مع شرح النووي / أبي زكريا يحيى بن شرف / دار القلم / بيروت / ١٤٠٧ – ١٩٨٧ / كتاب الايمان باب معرفة طريق الرؤية / ٣/٣٢ .

١٦. البخاري : محمد بن اسماعيل بن ابراهيم / صحيح البخاري مطبوع مع شرح فتح الباري / احمد بن حجر العسقلاني / دار السلام الرياض / دار الفيحاء دمشق / الطبعة الثالثة / ١٤٢١ – ٢٠٠٠ / كتاب الرقاق / باب انتهاء عن المعاصي : ٣٨٣/١١. ومسلم: مصدر سابق / كتاب الإيمان / باب بيان تفاضل الإسلام / ٣٧١/٢ .

١٧. كلأه : أي حرسه/ ينظر: الفيروزآبادي/ مجد الدين محمد بن يعقوب/ القاموس المحيط/ إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ط٢/ ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م/ باب الهمزة- فصل الكاف/ص ٦٠.

١٨. سورة الواقعة : الآية (٩١) .

١٩. ابن حجر : احمد بن علي بن حجر العسقلاني / فتح الباري شرح صحيح البخاري / مصدر سابق / كتاب الاستئذان باب السلام اسم من اسماء الله تعالى : ١٨/١١ .

٢٠. عبد الباقي : محمد فؤاد / المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / دار الحديث / القاهرة / الطبعة الأولى / ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م / ص٤٣٧ – ٤٣٩ .

٢١. الدامغاني : حسين بن محمد / قاموس القرآن أو اصلاح الوجوه والنظائر / تحقيق عبد العزيز سيد الأهل / دار العلم للملايين / بيروت / الطبعة الثانية / ١٩٧٧ / مادة سلم : باب السين ص٢٢٣ . وهارون : عبد السلام / الوجوه والنظائر في القرآن الكريم / تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن / طبع دائرة الآثار والتراث / بغداد / ١٩٨١ / لفظ السلام ص٣٤٢ .

٢٢. سورة الحشر : الآية (٢٣) .

٢٣. سورة الزخرف : الآية (٨٩) .

٢٤. سورة مريم : الآية (٤٧) .

٢٥. سورة الصافات : الآية (٧٩) .

٢٦. سورة الصافات : الآية (١٣٠) .

٢٧. سورة هود : الآية : (٤٨) .

٢٨. سورة الأنبياء : (٦٩) .

٢٩. سورة الرعد : الآيتان (٢٣ – ٢٤) .

٣٠. سورة النور : الآية (٦١) .

٣١. أبو داود : سليمان بن الاشعت / سنن أبي داود مطبوع شرح عون المعبود لأبي الطيب محمد شمس الدين الحق العظيم أبادي / دار الفكر بيروت / ١٤٢٠ – ٢٠٠٠ / كتاب أبواب السلام باب افشاء السلام / ٨٠/١٤ .

٣٢. مسلم : مصدر سابق / كتاب أبواب السلام/ باب من حق المسلم للمسلم رد السلام /١٤ / ٣٩٢ – ٣٩٣ .

٣٣. الصنعاني : محمد بن اسماعيل / سبل السلام وهو شرح بلوغ المرام / دار احياء التراث العربي / بيروت / كتاب الجامع / باب الأدب : ٤ / ١٤٨ .

٣٤. النووي : أبو زكريا محي الدين بن شرف / حلية الأبرار وشعار الأخيار المسمى بالأذكار / دار الفيحاء / دمشق / الطبعة الأولى / ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م / ص٢٧٨ .

٣٥. الدارمي : ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن / سنن الدارمي / تحقيق عبد الله هاشم يماني / المدينة المنورة / دار المحاسن للطباعة / القاهرة / ١٣٨٦ – ١٩٦٦ / كتاب الاستئذان / باب في إفشاء السلام / ١٨٨/٢ .
٣٦. مسلم : مصدر سابق / كتاب الإيمان / باب بيان انه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون / ٣٩٥/٢ .
٣٧. المباركفوري : أبو العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم / تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي / دار الفكر / بيروت / باب إفشاء السلام ٧ / ٤٦١ .
٣٨. أبو داود: مصدر سابق / كتاب أبواب السلام / باب في فضل من بدأ بالسلام / ٨٢/١٤.
٣٩. ابن حجر / مصدر سابق / كتاب الاستئذان / باب يسلم الصغير على الكبير / ٢١/١١ .
٤٠. أبي داود : مصدر سابق / كتاب أبواب السلام / باب السلام إذا قام من المجلس / ٩٢/١٤ .
٤١. أبو الطيب : محمد شمس الدين الحق العظيم أبادي / عون المعبود شرح سنن أبي داود / مصدر سابق / ٩٢/١٤ . وتحفة الاحوذي: مصدر سابق / كتاب الاستئذان / باب التسليم عند القيام والقعود ٤٨٥/٧ .
٤٢. تحفة الاحوذي : مصدر سابق / كتاب الاستئذان / باب إفشاء السلام / ٧ / ٤٦١ .
٤٣. سنن الترمذي : مصدر سابق / كتاب الاستئذان / باب ما جاء في التسليم على الصبيان : ٧ / ٤٧٣ .
٤٤. تحفة الاحوذي : مصدر سابق / باب ما جاء في التسليم على الصبيان / ٧ / ٤٧٣ – ٤٧٤ . وينظر ابن حجر مصدر سابق كتاب الاستئذان / باب ما جاء في التسليم على الصبيان ٤٠/١١ .
٤٥. النووي : أبي زكريا محي الدين / المجموع شرح المهذب / مطبعة العاصمة / القاهرة : كتاب السلام / ٤٦٧/٤ .
٤٦. مسلم / مصدر سابق / كتاب المساجد ومواضع الصلاة / باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته : ٩٣/٥ – ٩٤ .
٤٧. مسلم : مصدر سابق / كتاب الجنائز / باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها / ٤٨/٧ .
٤٨. سورة الأنعام : الآية (١٢٧) .
٤٩. سورة مريم : الآية (٣٢) .
٥٠. الرسالة الإسلامية / مصدر سابق ص ٣٥ .
٥١. سورة الأنعام : الآية (٥٤) .
٥٢. المعجم المفهرس / مصدر سابق / ص٣٧٤ – ٣٨٠ .

٥٣. سورة الأنبياء : الآية (١٠٧) .
٥٤. مسلم: مصدر سابق : كتاب الفضائل / باب رحمته ﴿ﷺ﴾ بالصبيان والعيال / ٨٤/١٥ .
٥٥. ابو داود : مصدر سابق / كتاب الادب / باب في الرحمة ٢٣٣/١٣ .
٥٦. سورة الحجرات : الآية (١٣) .
٥٧. مجلة الرسالة الإسلامية : مصدر سابق : ص٣٧ .
٥٨. النووي : أبو زكريا محي الدين بن شرف / الأذكار / دار الفيحاء / دمشق – بيروت / الطبعة الأولى / ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م / ص٢٧٦ كتاب السلام .
٥٩. القرطبي: أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري / الجامع لأحكام القرآن / دار الكتاب العربي / بيروت – لبنان / ١٩٦٧ / ٥ / ٢٩٨ تفسير سورة النساء .
٦٠. الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير / جامع البيان عن تأويل آي القرآن / تحقيق محمود شاكر / دار احياء التراث / بيروت / الطبعة الأولى / ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م / ج٥ / ص٢٢٦ . أبي الطيب محمد شمس الدين الحق العظيم أبادي : عون المعبود شرح سنن ابي داود / مصدر سابق / كتاب أبواب السلام / باب ما جاء في رد الواحد عن الجماعة / ٩٣/١٤ .
٦١. سبق تخريجه في الهامش رقم ٣٢ .
٦٢. سورة النساء : الآية (٨٦) .
٦٣. النووي : الاذكار كتاب السلام / ٢٨٧ – ٢٨٨ . وينظر ابن حجر / مصدر سابق كتاب الاستئذان باب افشاء السلام ٢٥/١١ .
٦٤. ابن حجر /مصدر سابق / كتاب الاستئذان / باب من لم يسلّم على من اقترف ذنباً ومن لم يرد سلامه حتى تتبين توبته / ٤٩/١١ .
٦٥. الكبيسي وجميل/ د. حمد عبيد و د. صبحي محمد/ أصول الأحكام وطرق الاستنباط في التشريع الإسلامي/ دار الحكمة/ بغداد/ ١٣٩٧هـ-١٩٨٧م/ ص١٨٧. وزيدان/ د. عبد الكريم/ الوجيز في أصول الفقه/ المكتبة الوطنية/ بغداد/ ١٩٧٧/ط٦/ ص.٣٣
٦٦. النووي / المجموع شرح المهذب / في صفة السلام وأحكامه : ٤ /٤٦٠ . وينظر الاذكار للمؤلف نفسه : ٢٨٠ – ٢٨٢ .
٦٧. الكبيسي وجميل/ مصدر سابق/ ص١٨٧ . وزيدان/ مصدر سابق/ ص٣٣.
٦٨. النووي / المجموع شرح المهذب / في صفة السلام وأحكامه : ٤ /٤٦٠ . وينظر الاذكار للمؤلف نفسه : ٢٨٠ – ٢٨٢ .
٦٩. أبو الطيب : مصدر سابق / كتاب أبواب السلام / باب ما جاء في رد الواحد عن الجماعة / ٩٣/١٤ . وابن حجر / مصدر سابق / كتاب الاستئذان / باب السلام اسم من اسماء الله تعالى ، وباب تسليم القليل على الكثير / ١٩/١١ .